

البحث السوسيولوجي

الأهمية والهدف

الدكتور أحمد بودراع

معهد العلوم الاجتماعية

- جامعة باتنة -

مقدمة :

بالرغم من الاختلافات القائمة بين علماء الاجتماع في أغلب الآراء والأفكار والنظريات المتعلقة بالمجتمع البشري إلا أنهم اتفقوا إلى حد ما على أن البحث السوسيولوجي فطن أساسيان هما البحث الوصفي والتفسيري باعتبارهما من أهم الأبحاث الاجتماعية التي تدور في مجاليهما جل القضايا الهامة المتعلقة بالكيان الاجتماعي في حالة سيرورة المجتمع وسكونه ينتج عنهما مشاكل اجتماعية عديدة تقف عائقا أمام مسيرة وتقدم المجتمع ولذا فإن علم الاجتماع يعتمد على البحث الوصفي والتفسيري أثناء تناوله للموضوعات ذات الطابع الاجتماعي.

أولا : البحث الوصفي التحليلي :

إن عالم الاجتماع يصبو من وراء القيام بالأبحاث الوصفية إلى إكتشاف عالم الوقائع الاجتماعية، ويقصد من ورائها وصف الحقيقة الاجتماعية المتمثلة في الظواهر الاجتماعية التي تظفر على سطح المجتمع الإنساني، كمحاولته إكتشاف طرق وأساليب

وأغاط الحياة، وكذا تصرف الأفراد والجماعات⁽¹⁾، وهذا يعني أن البحث الوصفي هو البحث في ماهية المجتمع، وهذا هو هدف وغاية عالم الاجتماع في التعرف والكشف ووصف الحقيقة الاجتماعية في آن واحد. إن الأمثلة الآتية جميعها تهدف إلى التعرف على الأسلوب الوصفي مثلاً: كالتعرف على الطلبة الذين يتعاطون المخدرات فعلياً داخل الجامعة، وقد يذهب البحث الوصفي إلى التحليل والكشف معاً عن حقيقة ما تروجه وسائل الإعلام السمعية والبصرية حول موضوع معين مثلاً، بأن طلبة المعاهد ثاثرون وساخطون على القوانين الصادرة عن الوزارة المنتدبة، فهل هذا صحيح بالفعل أم لا؟، أو قد يريد عالم الاجتماع أو الباحث الاجتماعي معرفة ما إذا كانت الظروف الاجتماعية الإقتصادية للطبقة الدنيا المحرومة في المجتمع قد تحسنت أحوالهما في خلال فترة السنوات الماضية.

ولهذا نجد بأن جميع الدراسات التي تبنت المنهج الوصفي التحليلي تضمنت بالضرورة هدفاً واحداً، يتمثل في الكشف عن الواقع الاجتماعي، غير أنه في بعض الأحيان والحالات قد تكون الدراسات الوصفية (البحث الوصفي) على درجة كبيرة من التعقيد، وخاصة في حالة تناولها بعض الموضوعات غير المألوفة كدراسة عالم الاجتماع «ديفيز فيلب» الذي طرح إشكالية صعبة مفادها «إن الموت يتأثر بالظروف الاجتماعية»⁽²⁾ ... أي بمعنى أدق أن موت الإنسان لا يتحدد بالظروف الفسيولوجية للجنس فقط وإنما أيضاً بالظروف الاجتماعية.

وبالرغم من هذا الدور الذي يلعبه علماء الاجتماع في استخدامهم للبحث الوصفي التحليلي لسحب الغموض وكشف الحقائق المتعلقة بالمجتمع ومعرفة الأسباب التي تحرك سلوك الإنسان غير أنهم إهتموا بإضافة الغموض وتعقيد ماهو واضح من الأشياء، حين يقررون بطريقة معقدة الشيء الصحيح الذي يعرفه الأفراد والجماعات في المجتمع.

كما اعتاد علماء الاجتماع والباحثون في مجال العلوم الاجتماعية، أن يسمعو دائماً من المشككين سؤالاً مفاده ما الفائدة، أو الحاجة إلى كل تلك الكلمات المطولة لتوضيح أمر ما يمكن أن نعرفه بأنفسنا؟⁽³⁾. ورغم هذا النقد فالحق يقال أن البحث الوصفي التحليلي يتناول ماهو واضح وليس قولاً زائفاً.

وخير دليل على ذلك ما تمت دراسته وبحته من موضوعات كثيرة، كل منها لها خصوصيتها الاجتماعية كالفقر والجريمة والإدمان وغيرها من المشكلات الاجتماعية التي تنخر كيان المجتمع وتقف أمام تقدمه ومسيرة تطوره، حيث توصلت إلى نتائج مقبولة، كانت بمثابة مردود اجتماعي واقتصادي وسياسي يعود على المجتمع ككل وذلك للتخفيف من عبئه الثقيل.

وبهذا يتبين بأن البحث الوصفي التحليلي والذي يتطلب من خلاله تحسين أحوال المجتمع وهذا يعد برهاناً هاماً للوظيفة المتوخاة منه كإكتشاف أرضية الواقع الاجتماعي والوصول إلى حقائق هامة التي تتعلق بأنواع السلوكيات الإنسانية والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات التي تعكس ردود الأفعال، التي تحدث في ظل ظروف معينة وبصورة مستمرة داخل المجتمع.

ثانياً: البحث التفسيري:

بالرغم من عدم صحة الاعتقاد القائل، بأن الدراسات الوصفية التحليلية تتناول ماهو واضحاً، فإن الشيء المؤكد هو أن البحث الوصفي لا يمثل إلى حد ما النوع المطلوب في الدراسات السوسيولوجية، باعتبار أن وصف الحقيقة الاجتماعية والكشف عنها تعد إحدى الخطوات الأولية في المنظور الفكري والعملية لعلم الاجتماع.

غير أن الخطوة الثانية فهي عملية التفسير للأسباب الموجدة للأشياء على ماهي عليه، أي بمعنى معرفة سبب تجمع الجماعات على نحو معين، أو في أشكال وأنماط معينة، وعليه يتطلب من علم الاجتماع بالضرورة الارتقاء إلى درجة الموضوعية، وذلك بتبنيه البحث التفسيري كأداة ضرورية لتبيان وإيضاح العلل الاجتماعية المتمثلة في الأنماط السلوكية، والتي تحتاج إلى تفسير منطقي وموضوعي⁽⁴⁾.

وحتى يتسنى فهم البحث التفسيري في الدراسات الاجتماعية الخاصة بعلم الاجتماع على نحو أفضل نورد المثال التالي:

« قام عمال التربية والتعليم مؤخرا بإضراب كبير على مستوى التراب الجزائري. رغم أننا ننظر إلى الإضراب في الوقت الحالي على أنه أمر سهل وعادي، إلا أننا إذا رجعنا إلى الماضي القريب فإنه لم يكن بالأمر المسموح به.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا أضرب عمال التربية والتعليم الذين كانوا بالأمر القريب محافظين؟

ثم لماذا أضرب البعض في حين لم يضرب البعض الآخر؟

من هنا يبرز دور البحث التفسيري لفهم سلوك المضربين والكشف عن الأسباب الكامنة وراء الإضراب وهي متعددة نفترض منها مايلي:

1 - إن عمال التربية من الذكور بصورة عامة أكثر ميلا للإضراب من الإناث "حسب الجنس".

2 - إن عمال التربية من سلك التعليم الثانوي أكثر ميلا للإضراب من عمال التربية في سلك التعليم الابتدائي. وإلى هذا الحد ما نقوم به فهو عملية وصفية لتقرر بعض الحقائق هو الحدث المتمثل في الإضراب ويبقى السؤال الحقيقي « لماذا قام الإضراب؟ ».

ويعنى آخر لماذا الرجال أكثر ميلا للإضراب من النساء في سلك التعليم، ولماذا معلمو المدارس الثانوية أكثر ميلا للإضراب من بقية معلمي المدارس الابتدائية. وبهذا تشكل الإجابة عن مثل تلك الأسئلة أمثلة حقيقية وأساسية يتضمنها البحث التفسيري، وأداته الأولى في دراسة الظواهر الاجتماعية، وبهذا يتضح البحث التفسيري له عناصر تحليلية، ويستنتج جليا من البحث السوسولوجي ذو الطابع التفسيري بأنه يتضمن في الغالب ثلاثة عناصر تحليلية هي:

العنصر الأول:

هو تحليل وتفسير سلوك أو اتجاه الأفراد وما ينهني فهمه كما جاء في الأمثلة السابقة الذكر لمعرفة الأسباب الكامنة وراء إضراب البعض دون الآخرين بدرجات متفاوتة⁽⁵⁾.

العنصر الثاني:

هو ضبط السبب المحدد لهذا السلوك أو الاتجاه، هل السبب المحدد للإضراب يكمن في نوع (الذكور - الإناث) أو نوع المدرسة (ثانوية - ابتدائية)؟.

العنصر الثالث:

يتمثل في سبب تأثير العنصر المسبب في السلوك والاتجاه للأفراد، ويعنى أدق هو محاولة تفسير سبب ميل الذكور للإضراب بدرجة أكبر من الإناث، أو بسبب ميل المدارس الثانوية إلى الإضراب أكبر من المدارس الابتدائية، وتنطبق هذه الإجراءات على الظواهر التي تعد موضوعا دراسيا في مختلف العلوم الاجتماعية المعروفة بإصطلاح المتغير التابع⁽⁶⁾.

ويعد هذا المتغير في علم الاجتماع سلوكا أو اتجاها: يجب تحديده دراسيا كما أنه يعد أيضا الطريقة التي يتم بها تصنيف الأفراد في أكثر من فئة، أو يتحدد من فئة واحدة من تلك الفئات (رجال - نساء).⁽⁷⁾

وإن كان أغلبية الناس يقولون التفسير بهذه الكيفية فإن الباحث الاجتماعي لا يقبل أي تفسير لذلك مالم يكن ممثلا ببعض البيانات التي تؤكد وبالتالي يجب التمهيد من صحة هذا التفسير⁽⁷⁾.

وبهذا يهدف علماء الاجتماع القائمون بالبحث الوصفي إلى اكتشاف الوقائع الاجتماعية، بينما يهدف القائمون بالبحث التفسيري إلى محاولة تفسير وتحليل السلوك الاجتماعي وفهم المجتمع وتطوره، وهذا ما يتطلب على الأقل أمور منهجية منها:

1 - المتغيرات:

تمثل المتغيرات خاصية هامة يتم على ضوئها تطبيق وحدة تحليل سلوك الأفراد والمجتمعات، وذلك باستخدام فئتين أو أكثر⁽⁸⁾ كما جاء في المثال السابق [بحيث تكون ممثلة لتلك الفئات جميعا.

وبذلك يشير المتغير التابع إلى الظاهرة التي يهتم بها عالم وباحث علم الاجتماع بدراستها، كما يشير المتغير المستقل إلى السبب المحدد للمتغير التابع، باعتباره عامل يفسر سبب تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع.

2 - جدول المتغيرات :

ويقصد من ورائه التعرف عما إذا كان المتغير المستقل يؤثر على المتغير التابع وهذا يتطلب بالضرورة جدول يتضمن المتغيرات التي يتطلب تحويلها إلى نسبة مئوية في اتجاه المتغير المستقل من خلال اختلاف النسبة⁽⁸⁾.

3 - جمع البيانات:

يلجأ علماء الاجتماع أثناء قيامهم بالدراسة، إلى جمع البيانات التي يمكن

توظيفها لخدمة وإثراء البحث للوصول إلى نتائج موضوعية تعود بفائدة علمية على المجتمع المدروس لتحسين أحواله الاجتماعية⁽⁹⁾

وتعد المسوح الاجتماعية والمصادر المنشورة كما هو الحال بالنسبة للدراسات الإحصائية للسكان، وإجراء المقارنة وفحص الوثائق التاريخية، والقيام بالمقابلات والملاحظات كوسائل هامة في مجال جمع البيانات.

4 - المصاينة:

يقال بأنه ليس من الضروري عند دراسة اجتماعية الحصول على البيانات عن كل فرد فيها، وأنه من الضروري الحصول على عينة عشوائية تتيح لكل فرد فرصة احتمال الظهور فيها. بهذا يمكن استخدام تلك العينة في الوصول إلى نتائج عن المجتمع ككل.

5 - المؤشرات:

هي مجموعة الأسئلة الموجهة لخدمة موضوع معين المتوخى دراسته دراسة إجتماعية علمية كالأسئلة التي تطرح على العينة العشوائية للبحث، وعلى أن تكون هذه المؤشرات التي تحددها الأسئلة الموجهة إلى أفراد مختلفين، يستخدمون كأطر مرجعية مختلفة للإجابة على الأسئلة، وعلى الباحث أن يسأل أحيانا أسئلة محددة للغاية أو مفتوحة باعتبارها تمثل قائمة المؤشرات لقياس متغير ما على أن يكون متناسق تناسقا منطقيا⁽¹⁰⁾.

ثالثا: أهمية البحث السوسيولوجي:

لا يختلف في تصوري إثبات على أن الغاية من القيام بالأبحاث السوسيولوجية، وهي تحسين الظروف الاجتماعية، والدفع بنمو وتطور المجتمع ككل. وبذلك يصعب علينا في هذا العصر الالتحاق بسهولة بالأمم المتقدمة بعد أن أصبح فيها العلماء بعلمهم يتحكمون محكما كبيرا في نزول الإنسان على سطح القمر واستحداث حياة إصطناعية في

أنايبب اختبار وهي مؤشرات علمية هامة .
وبالرغم مما توصل إليه العلم بقيت مشاكلنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية،
تفتقر إلى حلول للنهوض بالمجتمع، والحق يقال أن المشكلة الحقيقية عامة مست كل من
المجتمعات الأفريقية والآسيوية وأمريكا اللاتينية وحتى المجتمعات الغربية وأمريكا
الشمالية التي أظهرت طموحا عظيما في التصدي للمشكلات الفنية (التكنيك)⁽¹¹⁾
غير أن مجتمع أمريكا الشمالية يشهد تقدما وتطورا ملحوظا في برامج الفضاء
والاستعمار عن بعد، والتلوث وغيرها، إلا أنه مازال يواجه مشاكل إجتماعية لا تحصى
ولا تعد، تتصل بالعرقية والفقر والجريمة والمخدرات وأنظمة التعليم والرعاية الاجتماعية
الصحية كخدمات إجتماعية غير ملائمة⁽¹²⁾.
علما بأن الهيئة الاجتماعية تتفق مع العديد من علماء الاجتماع، الذين يعتقدون
بإمكانية تحويل الأشياء إلى نظريات لها دور هام تتضمنه مفاهيم علم الاجتماع التي تعد
علاجا للمشكلات الاجتماعية.
ولذا ظهر اتجاه متزايد من قبل الحكومات والهيئة الدولية والمؤسسات الأهلية
الواعية بأهمية الأبحاث السوسولوجية كشيء راسخ في إعتقادهم، بأن حل المشكلات
الإجتماعية يعتمد على الأبحاث التي تفيد ولا تضر بوحدة وتطوير البرامج الجديدة
للحكومات والدول على مختلف مستوى درجة تقدمها.

رابعا: الهدف من البحث السوسولوجي:

الهدف من البحث الوصفي:

إن الهدف من إجراء البحث الوصفي هو تحديد الوظائف الواقعية من خلال موضوع
بحث معين، ولهذا تبدو ضرورة لإقامة الأبحاث باعتبارها تهدف إلى جمع وتحديد مثل
هذه الوقائع الإجتماعية الملموسة كالمشاكل الإجتماعية التي تظهر بصورة جليلة داخل

المحيط الاجتماعي للمجتمع ككل⁽¹³⁾.

وبهذا فالبحث الوصفي يسعى للوقوف على الجوانب الكثيرة والمختلفة، التي يبدو التباين والتفرقة فيها واضحين داخل المجتمع، البنيان الطبقي، الفقر والفنى، والرخاء الاجتماعي والحرمان الاجتماعي.

وإن الفائدة والغاية المرجوة من البحث السوسيولوجي هو تحديد وامتلاك الحقائق وتوظيفها من أجل تحسين الأوضاع الاجتماعية، وهذا يتطلب الكشف مثلاً على نواحي القصور في تقديم الخدمات الاجتماعية، كالوضع المتعلق بتدهور التعليم والصحة ومحاولة تحسينهما، وذلك من خلال الأساليب المفروضة إتباعها للنهوض بهما، باعتبار أن تلك الطرق هي التي تهيء لإقامة البحث الوصفي الذي يستوجب إيجاد حلولاً للنواقص السيئة سواء كان بالنسبة للتعليم أو الصحة، وبذلك يبرز دور البحث السوسيولوجي في إيجاد الحلول التي يجب الأخذ بها وعدم التفریط في استخدامها.

الهدف من البحث التفسيري:

إن الفائدة التي تصبو إليها الأبحاث التفسيرية هو إكتشاف العلل التي تكمن وراء إثارة المشكلات الاجتماعية، وكذلك معرفة المسببات باعتبارها أمراً ضرورياً للعلاج، خاصة أثناء وضع الإقتراحات والحلول لتلك المشكلات⁽¹⁴⁾ ونورد للتوضيح أمثلة منها.

المثال الأول:

لماذا يدمن بعض شبابنا على تعاطي المخدرات في الوقت الذي لا يتعاطى أقرانهم في بيئات اجتماعية أخرى مماثلة. ولماذا يختلف مستوى التحصيل العلمي من جامعة إلى أخرى، والواقع فإن الرد على مثل تلك الأسئلة أو التساؤلات ليس بالأمر الهين.

ومن هذا تمحدد أهمية الهدف من البحث التفسيري في تطور علم الاجتماع وذلك في الإجابة على تلك الأسئلة المبدئية، والتي من شأنها أن تفيد في انقاذ المجتمع من مخاطر ظاهرة تعاطي المخدرات وانخفاض مستوى التحصيل العلمي.

المثال الثاني:

توجد شريحة كبيرة في المجتمع غير قادرة على الإتفاق على أسرها، ففي هذه الحالة تعد مشكلة إجتماعية خطيرة في المجتمع تحتاج إلى تفسير أسبابها . فقد يكون من وراء عجزها الدخل المنخفض أو غلاء المعيشة المتمثل في الأسعار المرتفعة مقابل سلع غير جيدة، أو إلى ندرة السلع وارتفاعها في آن واحد، بذلك يتضح عجز القدرة على الدفع نقدا . فتضطر هذه الشريحة إلى بيع ممتلكاتها الشخصية مما يؤدي بالمؤسسات التجارية إلى طرح السلع لبيعها بالتقسيط المريح ، كما يقال وهذا في ظل غياب الدعم الحكومي لمثل تلك الشريحة الإجتماعية الواسعة ذات الدخل المنخفض ومستوى المعيشة المتدني .

وفي الختام يمكن القول بأن الفائدة من هذا البحث المتواضع هو إبراز هدفين هامين:

أولهما:

توضيح ضرورة البحث السوسيولوجي في دراسة السلوك الإنساني الذي يعد محور معرفة وماهية المجتمع البشري ويعتبر هذا منظور ذو قيمة في فهم المشكلات الإجتماعية وتقديم العلاج المناسب لها.

ثانيهما:

إبراز منطق البحث السوسيولوجي الذي يبدو من مهامه الهادفة نقد الأوضاع الإجتماعية كما أنه يبرز الحاجة الماسة إليه أثناء تناوله لمعظم المشكلات الإجتماعية كإفرازات للتخمر الإجتماعي داخل المجتمع ككل.

المراجع :

- 01) Kingsley ph. Davis : **Human Society.** (New York: The Free press 1949) pp.16 - 51 .
- 02) Baner and Becker : **Social Thought. From Ioke to Science** (Chicago: University of Chicago Press, 1948) pp. 181 - 189 .
- 03) Russell Keat and John Urry : **Social Theory as Science** (London: Routledge and Kegan), pp 145 - 175.
- 04) Ernest. W. Burgess and Danald Bogne , **Contribution to Urban sociology** (Chicago : University of Chicago press, 1964). pp. 1 - 14 .
- 05) Swedner H., **The Technique of collecting the information: a lecture given at the seminar of research methodology** (Danemark 1968) .
- 06) Moser G., **Survey Methods in social investigation ch. observation** (London: Heimman cop.1967) p.3.
- 07) United Nation, **Method of survey** (New York, Hand Band House Hold Survey's, 1968) p.5.
- 08) Koenig . c . **Sociology: an Introduction to the Science of Society** (New York: Barnes and Noble 1964) pp.10 - 11 .
- 09) Grenn. A. W. **Sociology .** (New York: The Free Press, 1960) . pp. 8 - 9 .
- 10) Kingsley . ph. **Human Society** op. cit , p. 51 .
- 11) Clinard. R. , **Sociology of Deviant Behaviour** (New York: The Free Press, 1968) p. VII.
- 12) Thomas, William and Florian Znamieki : **The Polish Peasant in Europe and America Vol2 .** (New York :1959)
- 13) Davis Phillip. K , **Death Takes a Holiday in Judith Tanur, EO, Statistics** Aguide to the unknown (San Francisco: Holden Day 1972).

للإطلاع أكثر

- 1) Paul , F. Lazars Feld. **The uses of sociology** (New York. Basic Beake, 1967).

1. د/ مصطفى عمر التير، مقدمة في مبادئ وأسس البحث الاجتماعي . المنشأة الشعبية للنشر والترجمة ، ليبيا طرابلس ، 1985 .
2. د/ حسن الساعاتي، تصميم البحوث الاجتماعية وتنسيق منهجي جديد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1982 .

المراجع:

- (01) Kropotkin, P. A. *Memirs of a Naturalist*. (New York: The Free Press, 1964) pp. 10-21.
- (02) Lantieri and Becker. *Social Thought*. From Locke to Science (Chicago: University of Chicago Press, 1948) pp. 171-180.
- (03) Russell, K. and John D. *Social Theory as Science* (London: Routledge and Kegan, 1975) pp. 142-172.
- (04) Emory, W. Briggs and Donald Boggs. *Contribution to Urban Sociology* (Chicago: University of Chicago Press, 1964) pp. 1-14.
- (05) Swisher, H. *The Technique of collecting the information: a lecture given at the seminar of research methodology* (Louvain, 1968).
- (06) Moser, G. *Survey Method in Social Investigation: the observation and coding technique* (1967) p. 3.
- (07) United Nations. *Method of survey* (New York: United Nations, 1968) p. 2.
- (08) Kropotkin, P. A. *Sociology: an introduction to the Science of Society* (New York: Barnes and Noble, 1967) pp. 10-11.
- (09) Lantieri, A. W. *Sociology* (New York: The Free Press, 1960) pp. 8-9.
- (10) Kropotkin, P. A. *Human Society* (New York: The Free Press, 1968) p. VII.
- (11) Lantieri, R. *Sociology of Deviant Behaviour* (New York: The Free Press, 1968) p. VII.
- (12) Thomas, William and Florian. *Man and The World: a history of Europe and America* Vol. 2, New York, 1959.
- (13) Davis, Philip. *K. L. Health Takes a Holiday in London*. Ann. (L.A.) Statistics, 1972, 10: 100-105.

المراجع

- (1) Paul, F. Lantieri. *The uses of sociology* (New York: Barnes and Noble, 1964).

المجلة الاجتماعية والانسانية

العدد: 2 (1982)

المجلد: 1

العدد: 2 (1982)